حَقْلُ الدِّرَاسَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي العَامِ ٢٠١٨م
((التَّحَدِّيَّاتُ وَالفُرَصُ مِنْ مَنْظُورٍ غَرْبِيٍّ))

- سعادَةَ الإمامِ الأكبَرِ، الأستَاذِ الدُّكتورِ/ أَحمدِ الطَّيِّبِ- شيخِ الأزهرِ.
- السَّادةُ أعلامَ المنصَّةِ.
- السَّيِّداتُ والسَّادةُ.

ينبغِي لنَا ألَّا نستَحِي مِن استحسَانِ الحقِّ، واقتِنَاءِ الحقِّ منْ أينَ أتَى ، وَإِنْ أتَى مِن الأجنَاسِ القَاصِيَةِ عَنَّا، والأُمَمِ المُبَايِنَةِ، فإنَّهُ لَا شيءَ أولَى بطَالِبِ الحقِّ منَ الحقِّ (الكِنْدِي - تُوُفِّيَ بعدَ ٢٥٦ هـ/٨٧٠م - فِي الفلسفَةِ الأولَى) .

لقدْ أثبَتَ التَّبادُلُ الأكاديمِيُّ المُنتَظِمُ بينَ المؤسَّسَاتِ والأفرَادِ أنَّهُ وسيلَةٌ فعَّالةٌ للتَّعاوُنِ العِلمِيِّ المُتَبَادَلِ المُثْمِرِ، فمثلُ هذَا التَّواصُلِ علَى المستوَى الشَّخْصِيِّ والمُؤَسَّسِيِّ يُساعِدُ فِي تَعْزِيزِ التَّفاهُمِ بينَ الحَضَارَاتِ والأَدْيَانِ بدرجَةٍ كبيرَةٍ.

كمَا أنَّ مِثْلَ هذَا التَّواصُلِ قدْ أَثْبَتَ فَاعليَّتَهُ بصورةٍ أكبرَ فِي مجالِ الدِّراسَاتِ الإسلامِيَّةِ، سواءٌ فِي الشَّرقِ أوْ فِي الغَرْبِ، وسوَاءٌ كانَ رُوَّادُهُ مسلمِينَ أمْ غيرَ مسلمِينَ. فقدْ كانَتْ لِي تجرِبَةٌ شخصيَّةٌ؛ فقدْ أمضَيتُ العامَ الجامِعِيَّ ١٩٩١-١٩٩٠م فِي قسمِ الدِّراسَاتِ الإسلامِيَّةِ باللُّغَةِ الألمانيَّةِ التَّابِعِ للأزهَرِ، وَقَدْ استطعتُ منذُ ذلكَ الحينِ تَنْمِيَةَ وتعزِيزَ الرَّوابِطِ الأكادِيميَّةِ بصُورَةٍ ملائِمَةٍ معَ هذِهِ المؤسَّسَةِ المُتَمَيِّزَةِ للتَّعليمِ الإسلامِيِّ.

ورُبَّمَا يكونُ المؤتَمَرُ الدَّولِيُّ الكبيرُ الَّذِي عُقِدَ فِي ألمانيَا عامَ ٢٠١١م بالتَّعاوُنِ بينَ جامعةِ الأزهَرِ وجامِعَةِ غُوتِنْغِن الَّتِي أعمَلُ بِهَا خيرَ شاهِدٍ علَى ذلكَ. ففِي هذَا المؤتَمَرِ جَرَتْ مناقَشَةُ محاورَ عِدَّةٍ، مثلَ : ((المعرفَةُ والتَّعلِيمُ فِي حقبَةِ الإسلامِ الكلاسيكِيِّ: الأُسُسُ التَّاريخيَّةُ والأَثَرُ المعاصِرُ)). كَمَا تَنَاوَلَ المؤتَمَرُ أيضًا محاورَ أساسيَّةً فِي الدِّراسَاتِ الإسلاميَّةِ مثلَ: ((التَّقْيِيمِ التَّحلِيلِيِّ لأُسُسِ المَفَاهِيمِ والمُمَارَسَاتِ وَفَضَائِلِ المعرِفَةِ والتَّعلِيمِ فِي الإسلامِ فِي الفَتْرَةِ مَا بينَ القَرْنَينِ السَّابِعِ والثَّالِثِ عشرَ الميلادِيَّينِ)).

وَإِضَافَةً إِلَى ذلكَ، جَرَتْ مناقشَةُ التَّفَاعُلِ بينَ نُظُمِ التَّعليمِ الإسلامِيِّ والأفكَارِ والمُمَارَسَاتِ التَّعليمِيَّةِ الَّتِي لَا تَنْتَمِي إِلَى الإسلَامِ، وَالَّتِي ظَهَرَتْ فِي الآونَةِ الأخيرَةِ فِي الشَّرقِ الأوسَطِ.

وَمِنَ المحاورِ الَّتِي تنَاوَلَهَا المؤتَمَرُ أيضًا قَضَايَا ذَاتُ صِلَةٍ بِالتَّغْيِيرِ الجذْرِيِّ فِي مناهِجِ التَّعلِيمِ الإسلامِيِّ فِي الآونَةِ الأخيرَةِ، وَالإِشَادَةُ البَنَّاءَةُ بدورِ وتأثِيرِ التَّعليمِ الإِسلَامِيِّ فِي المجتمَعَاتِ المُعَاصِرَةِ فِي الشَّرقِ الأوسَطِ والغَربِ(*).

وَقَدِ اشتَرَكَ فِي المؤتَمَرِ أكثرُ مِنْ مِائَةِ باحِثٍ منَ الشَّرقِ الأوسَطِ وأوروبَّا وأمريكَا الشَّماليَّةِ.
وَقَدْ نَتَجَ عنْ هذَا المؤتَمَرِ ورشُ عمَلٍ وأبحاثٍ علميَّةٍ فِي مجالِ الدِّراسَاتِ الإسلاميَّةِ فِي مصرَ وألمانيَا. كمَا قامَتْ كُلٌّ منْ وزارَةِ التَّعليمِ العالِي والبحثِ العلمِيِّ فِي مصرَ وهيئَةِ التَّبَادُلِ الأكادِيمِيِّ الألمانيَّةِ (DAAD) بِدَعْمِ مثلِ هذهِ النَّشاطَاتِ.
وَتُعَدُّ هيئَةُ التَّبَادُلِ الأكاديمِيِّ الألمانيَّةِ (DAAD) شَرِيكًا فَعَّالًا منذُ وقتٍ طويلٍ معَ العَدِيدِ منَ الجامعَاتِ العربيَّةِ والألمانيَّةِ فِي ترسِيخِ وتعزيزِ التَّبادُلِ المُثْمِرِ للأفكَارِ بينَ أوروبَّا والشَّرقِ الأوسَطِ. وقدْ ساعَدَتْ (DAAD) أيضًا فِي أعمالِ ورشَةِ عمَلٍ نَظَّمَهَا معهدُ الدِّراساتِ العربيَّةِ والإسلاميَّةِ فِي ((جامِعَةِ غُوتنغِن)) فِي عامِ ٢٠١٣م، وذلِكَ بالاشتِرَاكِ معَ جامعةِ الأزهَرِ، وعنوانُهَا: ((المبَادِئُ والأخلاقُ فِي الإسلامِ)). وقد شرَّف الإمَامُ الأكبرُ شيخُ الأزهَرِ، الدُّكتورُ الطَّيِّبُ، المُشَارِكِينَ فِي ورشَةِ العمَلِ باستِضَافَتِهِمْ فِي مَكْتَبِهِ. وقدْ كانَتْ تجرِبَةً لَا تُنْسَى لكُلِّ المشاركِينَ.
وَالنُّقطَةُ الأُخرَى الَّتِي أَوَدُّ الإشارَةَ إليهَا فيمَا يتعَلَّقُ بتدريسِ مناهِجِ الدِّراسَاتِ الإسلامِيَّةِ؛ هِيَ أنَّ الطُّلَّابَ المهتَمِّينَ بدراسَةِ مثلِ هذهِ المناهِجِ فِي ألمانيَا لَدَيهِمْ الفُرصَةُ للتَّسجِيلِ فِي ٣١ جامعةً. وتُقَدِّمُ هذهِ الجامِعَاتُ درجَاتٍ عِلْمِيَّةً مختلِفَةً، ومثلُ هذَا الرَّقمِ يُشِيرُ إلَى الاهتمَامِ المُتَزَايِدِ للطُّلَّابِ بمثلِ هذهِ التَّخصُّصَاتِ، وذلكَ فضلًا عنْ اهتمَامِ الحكومَةِ الألمانِيَّةِ بالدِّراسَاتِ العربيَّةِ والإسلاميَّةِ فِي الجامعَاتِ الحكومِيَّةِ والخاصَّةِ.
ولَا يقتَصِرُ تَدريسُ مناهِجِ الدِّراسَاتِ الإسلاميَّةِ فِي الجامِعَةِ علَى موَادٍ تتعَلَّقُ بقواعِدِ اللُّغَةِ العربيَّةِ وأصُولِ الدِّينِ وتاريخِ الحضَارَاتِ والثَّقَافَاتِ الإسلاميَّةِ - أيْ المواد التَّقليدِيَّةَ الَّتِي كانتْ تُدَرَّسُ منْ قبلُ- فَبَرَامِجُ الماجِستيرِ والدُّكتُورَاه فِي الدِّراساتِ الإسلاميَّةِ تهدِفُ -فِي واقِعِ الأمرِ- إلَى طرحِ فَهْمٍ شاملٍ للأديَانِ والحَضَارَاتِ والثَّقَافَاتِ والسِّيَاسَاتِ فِي العَالَمِ الإسلامِيِّ.
كمَا يجرِي إلقَاءُ محاضَرَاتٍ وندَوَاتٍ تمهِيدِيَّةٍ ومُتَخَصِّصَةٍ عنْ تاريخِ ومَبَادِئِ الدِّينِ الإسلامِيِّ، كمَا يجرِي - أيضًا - تَقديمُ محاضَرَاتٍ تَتَنَاوَلُ المذاهِبَ الدِّينيَّةَ والسِّيَاسِيَّةَ للمجتَمَعَاتِ ذاتِ الأغلبيَّةِ والأقلِّيَّةِ المسلمَةِ، إلَى جانِبِ القَضَايَا المتعلِّقَةِ بالأخلاقِ والتَّعاليمِ الإسلاميَّةِ والقَضَايَا الاجتماعيَّةِ

وقضَايَا النَّوعِ الاجتماعِيِّ وجوانِبَ أساسيَّةٍ أُخْرَى ذاتِ صلَةٍ بالمجتمَعَاتِ الإسلاميَّةِ المعاصِرَةِ فِي الشَّرقِ والغَربِ.

*** التَّغَيُّرُ الَّذِي تَشْهَدُهُ البِنْيَةُ الطُّلَّابِيَّةُ:**

وَيَشْمَلُ بعضُ هذِهِ الاعتبَارَاتِ التَّغَيُّرَ الواقِعَ فِي تكوينِ البِنيَةِ الطُّلَّابِيَّةِ فِي حقْلِ الدِّراسَاتِ الإسلاميَّةِ، فحتَّى وقتٍ قريبٍ كانَ مُعظَمُ طُلَّابِ الدِّراسَاتِ الإسلاميَّةِ مِنْ غيرِ المسلمِينَ المُنْحَدِرِينَ منْ أُسَرٍ ألمانيَّةٍ محلِيَّةٍ. أَمَّا الآنَ، فمَا يقرُبُ منْ نصفِ طُلَّابِنَا فِي حقلِ الدِّراسَاتِ الإسلاميَّةِ ينحدِرُونَ منْ أُسَرٍ ذاتِ خَلْفِيَّاتٍ إسلاميَّةٍ، منَ الجِيلَينِ الثَّانِي والثَّالثِ منَ المسلمِينَ. وغالِبًا مَا يُمَثِّلُ هؤلاءِ الطُّلَّابُ جماعَاتٍ وَطَوَائِفَ إسلامِيَّةً مختلِفَةً. وفِي الأغلَبِ يكُونُ هناكَ تَبَايُنٌ كبيرٌ بينَ توقُّعَاتِهِمْ لمَاهِيَّةِ الإسلامِ، أوْ مَا ينبَغِي أنْ يكونَ هوَ الإسلامَ ، وَلِمَا يدرُسُونَهُ فِي الجامِعَةِ فِي تَخَصُّصِ الدِّراسَاتِ الإسلاميَّةِ.

وبناءً علَى ذلِكَ، يتَّضِحُ أنَّ مُهِمَّتَنَا كمُعَلِّمِينَ هيَ تقديمُ منهجٍ مَعْرِفِيٍّ موضوعِيٍّ متماسِكٍ لدراسَةِ الإسلامِ، وَمُلاحظَةُ سِمَاتِهِ الرَّئِيسَةِ، وملاحظَةُ خصَائِصِهِ فيمَا يتعلَّقُ بالتَّنوُّعِ الدِّينيِّ والثَّقافِيِّ.

*** البِيئَةُ الجَامعِيَّةُ العلمَانِيَّةُ :**

تجدُرُ الإشارَةُ -أيضًا- إلَى أنَّ دراسَةَ الإسلامِ فِي معظَمِ الدُّولِ الأوروبيَّةِ تجرِي فِي جامِعَاتٍ حكوميَّةٍ علمانِيَّةِ التَّوَجُّهِ. فالدِّراسَاتُ الإسلامِيَّةُ فِي أوروبَّا تعتمِدُ علَى مناهِجَ تاريخيَّةٍ-نقدِيَّةٍ لدراسَةِ الإسلامِ فِي التَّعليمِ والبُحُوثِ، وتَتَمَتَّعُ هذِهِ المناهِجُ بصِلَاتٍ وثيقةٍ بالتَّخصُّصَاتِ المجاورَةِ، مثلَ الدِّراسَاتِ الدِّينيَّةِ والثَّقافيَّةِ المقارنَةِ. وهيَ تشمَلُ مكوناتٍ فلسفيَّةً قويَّةً، كمَا يجرِي التَّأكيدُ فيهَا علَى تعليمِ اللُّغةِ العربيَّةِ إلَى جانِبِ الفَارسيَّةِ والتُّركيَّةِ، ولاحقًا الإندونيسيَّةَ.

*** تَعلِيمُ الإسلامِ علَى أسَاسِ المُعْتَقَدِ:**

فِي سياقِ الدِّراسَاتِ الإسلاميَّةِ، تجدُرُ الإشارَةُ -أيضًا- إلَى أنَّ هنَاكَ تطوُّرًا حدِيثًا نِسْبِيًّا فِي النِّمسَا وألمانيَا يشمَلُ إنشَاءَ مراكِزَ مخصَّصَةٍ لدراسَةِ العلومِ الدِّينيَّةِ الإسلاميَّةِ.

وتعملُ تلكَ المراكِزُ الخاصَّةُ القائِمَةُ علَى دراسَةِ العلومِ الإسلاميَّةِ بالتَّعاوُنِ معَ الجامِعَاتِ الحكوميَّةِ: إلَّا أنَّهَا مُكَرَّسَةٌ للتَّعليمِ الجامِعِيِّ الخاصِّ بالدِّارساتِ لإسلاميَّةِ والموضوعَاتِ ذاتِ الصِّلَةِ بالعلُومِ الدِّينيَّةِ، وذلِكَ علَى أساسٍ

عَقَدِيٍّ، والأغلبيَّةُ العُظْمَى منَ الأساتِذَةِ والطُّلَّابِ فِي تلكَ المراكِزِ يَدِينُونَ بالإسلَامِ -مَعَ انتمَائِهِمْ إلَى مختلَفِ الخَلْفِيَّاتِ العِرْقِيَّةِ والطَّوائِفِ الدِّينيَّةِ.
هناكَ حاليًا سبعَةٌ منْ تلكَ المرَاكِزِ فِي ألمانيَا، واثنَانِ آخرَانِ فِي النِّمْسَا.
وتعمَلُ مراكزُ الدِّرَاسَاتِ الدِّينيَّةِ القَائِمَةِ علَى أساسٍ عَقَدِيٍّ عَلَى تَثْقِيفِ الشَّبابِ المسلمِ ؛ ليُصْبِحُوا مُعلِّمِينَ فِي المدارِسِ العامَّةِ، حيثُ يُعلِّمُونَ الطُّلَّابَ المسلمِينَ تعالِيمَ العقيدَةِ الإسلاميَّةِ الَّتِي تُشْبِهُ تعالِيمَ الدِّينِ المسيحِيِّ الَّتِي تُقَدَّمُ للطُّلَّابِ منَ العَائِلاتِ المسيحيَّةِ، أوْ تَقْدِيمِ دَوْرَاتٍ فِي الأخلاقِيَّاتِ العامَّةِ للأطفَالِ ذَوِي الخلفِيَّةِ العلمانِيَّةِ. - يُوجَدُ هذَا النَّوعُ منْ صُوَرِ التَّعليمِ الإسلامِيِّ فِي المدارِسِ الحكوميَّةِ الألمانيَّةِ منذُ عامِ ١٩٨٦م-.
وَيَتَمَثَّلُ الهدفُ الآخَرُ لمراكِزِ الدِّراسَاتِ الدِّينيَّةِ فِي عِلْمِ أُصُولِ الدِّينِ الإسلامِيِّ فِي تقدِيمِ التَّعليمِ الدِّينيِّ الَّذِي يُمَكِّنُ الخرِّيجِينَ منَ العَمَلِ كأئِمَّةٍ ووُعَّاظٍ للجَالِيَّاتِ المسلمَةِ فِي أوروبَّا، بمَا لَدَيهِمْ منْ إلمَامٍ باللُّغَةِ الألمانيَّةِ وخَلْفِيَّةٍ ثقافيَّةٍ مَعْرِفِيَّةٍ.

*** التَّعَلُّمُ الإلِكْتُرُونِيُّ:**

اكْتَسَبَ التَّعَلُّمُ الإلكترونِيُّ أهميَّةً كبيرَةً فِي تعلِيمِ اللُّغَةِ علَى وجْهِ الخُصُوصِ، ولكنَّهُ اكتسَبَ أهميَّةً أكبرَ فِي الدَّوراتِ الموضوعيَّةِ للدِّرَاساتِ الإسلاميَّةِ.
وَتُعَدُّ منصَّاتُ التَّعلُّمِ الإلكترونيِّ لتَدرِيسِ اللُّغَةِ العربيَّةِ، عَلَى سبيلِ المثَالِ، وكذلِكَ الوسَائِطُ المتعدِّدَةُ الأخرَى الَّتِي تستخدَمُ فِي المحاضَرَاتِ والنَّدَواتِ وغيرِهَا، أَدَوَاتًا تعليميَّةً فعَّالةً فِي عالَمٍ يتزايَدُ طابِعُهُ الرَّقميُّ. وحقِيقَةً، فإنَّ العدِيدَ منْ طلَّابِ الدِّراساتِ الإسلاميَّةِ يتوقَّعُونَ استخدَامَ هذَا النَّوعِ منَ التَّجهِيزَاتِ التِّقَنِيَّةِ، حيثُ إنَّهُم علَى درايَةٍ بهَا من خلالِ استخدَامِهَا فَي محاضَرَاتِ التَّخَصُّصَاتِ الأُخْرَى.

- **المُبَادَرَاتُ البَحْثِيَّةُ :**

وَينبَغِي الإشَارَةُ، ولَوْ بشكلٍ مُوجَزٍ، إلَى بعضِ المبادَرَاتِ البحثِيَّةِ الصَّادِرَةِ عنْ قسمِ الدِّراساتِ الإسلاميَّةِ فِي (جامعَةِ غُوتينغنْ)؛ لأنَّهَا تدُلُّ علَى الالتِزَامِ الشَّدِيدِ للأوسَاطِ الأكادِيميَّةِ الأوروبيَّةِ بزِيَادَةِ الوَعْيِ بالجُذُورِ الثَّقافِيَّةِ والدِّينيَّةِ المشتركَةِ الَّتِي تجمَعُ بينَ الدُّوَلِ الأوروبيَّةِ ودُوَلِ البَحْرِ المتوسِّطِ بشكلٍ خاصٍّ، ودُوَلِ العالَمِ الإسلاميِّ بشكلٍ عامٍّ.

*** مَرْكَزُ البُحُوثِ ((التَّعْلِيمُ وَالدِّينُ)):**

لقَدْ تَجَسَّدَ أحدُ تلكَ المفاهِيمِ فِي عام ٢٠١٥م عِنْدَمَا جَرَى إنشَاءُ مركزِ أبحَاثٍ رئِيسِيٍّ مُتَعَدِّدِ التَّخَصُّصَاتِ، بتمويلٍ من مؤسَّسَةِ الأبحَاثِ الألمانيَّةِ ، وهذَا المركزُ البحثِيُّ الجديدُ مُخَصَّصٌ للدِّرَاسَةِ النَّقدِيَّةِ التَّاريخيَّةِ للقَضَايَا المُتعلِّقَةِ مُبَاشَرَةً بالدِّينِ والتَّعلِيمِ فِي العالَمِ القَدِيمِ والقرُوسطِيِّ فِي منطقَةِ البحرِ المتوسِّطِ ٣، وَهِيَ تَشْمَلُ ١٨ مَشْروعًا مُخْتلِفًا، بدءًا منْ دراسَاتِ الشَّرقِ الأدنَى القَدِيمِ إلَى الدِّراسَاتِ الأوروبيَّةِ التَّورَاتِيَّةِ والإسلامِيَّةِ فِي العُصُورِ الوُسْطَى أيضًا. وتَرْمِي جميعُ هذِهِ الأبحَاثِ إلَى هدَفٍ واحِدٍ مشتركٍ ؛ وهوَ: دراسَةُ المفَاهِيمِ الأساسِيَّةِ للدِّينِ والتَّعلِيمِ منْ منظُورٍ تَارِيخِيٍّ- مِثْل دراسَةِ المفاهِيمِ المتعلِّقَةِ بنقْلِ المعرِفَةِ والسُّلُطَاتِ والمؤسَّسَاتِ التَّعليمِيَّةِ أيضًا-؛ وذلِكَ للمساعَدَةِ فِي إثرَاءِ الخِطَابَاتِ المعاصِرَةِ المتعلِّقَةِ بالتَّعلِيمِ والدِّينِ(*)، وَتَمَّ تخصِيصُ مشروعِ الدِّرَاسَاتِ الإسلاميَّةِ، الَّذِي يُمَوِّلُهُ هذَا المركَزُ لِـ((التَّعلِيمِ الأخلاقِيِّ كخِطَابٍ تَرْبَوِيٍّ فِي الإسلَامِ الكلاسيكِيِّ: فِكْرُ وَتَأْثِيرُ المفكِّرِ المسلِمِ القَدِيمِ مسكويهِ (المتوفَّى عامَ ٤٢١هـ / ١٠٣٠م))).

البُحُوثُ المُتَعَلِّقَةُ بِالكُتُبِ المَدْرَسِيَّةِ:

هُنَاكَ جَانِبٌ آخَرُ ينبَغِي ذكرُهُ فِي هذَا الصَّدَدِ يتعلَّقُ بالتَّعاوُنِ الجدِيدِ بينَ حقلِ الدِّراسَاتِ الإسلاميَّةِ والبحُوثِ الخاصَّةِ بالكُتُبِ المدرسِيَّةِ ، ولهذَا الغَرَضِ جَرَى التَّعَاوُنُ بينَ معهدِ الدِّرَاسَاتِ الإسلاميَّةِ والعربيَّةِ فِي (غوتينغنَ) وبينَ معهدِ بحوثِ الكُتُبِ المدرسيَّةِ المجاورِ لَهُ. وَتَتَمَثَّلُ أهدافُ هذهِ الشَّرَاكَةِ فِي دراسَةِ صُورَةِ الإسلَامِ والمسلِمِينَ فِي الكُتُبِ المدرسِيَّةِ الَّتِي تَصْدُرُ فِي الشَّرقِ الأوسَطِ وفِي أوروبَّا، ودِراسَةِ الأسَالِيبِ الَّتِي تُقَدَّمُ بهَا الثَّقَافَاتُ الإسلاميَّةُ وغيرُ الإسلاميَّةِ للشَّبَابِ المسلِمِ فِي الكتُبِ المدرسيَّةِ بوجهٍ عامٍّ.

*** دِرَاسَةُ العِلْمَانِيَّةِ:**

وَثَمَّتَ تَجْدِيدٌ آخَرُ ظَهَرَ فِي حقلِ الدِّراساتِ الإسلاميَّةِ بألمانيَا -وفِي السِّيَاقِ الأوروبيِّ عُمُومًا - أَلَا وَهُوَ: استحدَاثُ دَرَجَةٍ أستَاذِيَّةٍ جديدَةٍ تحتَ اسمِ ((الفِكْرِ العلمَانِيِّ فِي العالَمِ الإسلامِيِّ المعاصِرِ)). وتَكْمُنُ الفكرَةُ وراءَ هذِهِ الأستاذِيَّةِ الجديدَةِ فِي مجَالِ الدِّراساتِ الإسلاميَّةِ فِي تحلِيلِ المفاهِيمِ والتُّرَاثِ فِي العالَمِ العربيِّ والإسلامِيِّ (فِي إطَارِ الجامِعَةِ) والَّتِي تقُومُ علَى أساسٍ غيرِ دينِيٍّ أوْ إذَا استخدَمْنَا المصطَلَحَ الحدِيثَ ((علمَانِيَّ)) فِي طُرُقِ المحاجَّةِ والبُرْهَانِ. ومنَ المُفْتَرَضِ أنْ يُسَاعِدَنَا ذلِكَ المنهجُ، كمَا نَأْمَلُ، فِي التَّوَصُّلِ إلَى فَهْمٍ أدَقّ لتَعْقِيدَاتِ وثَرَاءِ الثَّقَافَاتِ الإسلاميَّةِ وحضارَتِهَا.

*** مَشْرُوعُ الدِّرَاسَاتِ الإِنسانِيَّةِ الرَّقمِيَّةِ حَولَ عِلْمِ التَّربِيَّةِ الإِسلَامِيِّ التَّقْلِيدِيِّ:**

فِي النِّهَايَةِ، تَجْدُرُ الإِشارَةُ إِلَى مشروعِ الإِنسانِيَّاتِ الرَّقمِيَّةِ مُتَعَدِّدِ المَصَادِرِ فِي الدِّرَاسَاتِ الإِسلامِيَّةِ، وهذَا المشرُوعُ مُخَصَّصٌ للبحْثِ فيمَا يُعْرَفُ بعلْمِ التَّربِيَّةِ الإِسلامِيِّ التَّقلِيدِيِّ، وقدْ بدَأْتُ هذَا المشروعَ طَوِيلَ الأَجَلِ لاكتِشَافِ القِيَمِ الإِنسانِيَّةِ العالَمِيَّةِ للتُّرَاثِ الكلاسيكِيِّ الخاصِّ بالتَّعلِيمِ الإِسلامِيِّ فِي المَصَادِرِ العربِيَّةِ الأولَى، وإِلقَاءِ الضَّوءِ علَى مجموعَةٍ منَ القَضَايَا ذاتِ الصِّلَةِ بالفِكْرِ التَّعلِيمِيِّ فِي الإِسلَامِ، والَّتِي هيَ فِي ضَوءِ مُلَاءَمَتِهَا العَالَمِيَّةَ لَا تَحْظَى باهتِمَامِ المتخَصِّصِينَ وَحْدَهُمْ، بلْ تَحْظَى كذَلِكَ باهتِمَامٍ علَى نِطَاقٍ أوسَعَ فِي إِطَارِ الخِطَابَاتِ التَّعلِيمِيَّةِ المعاصِرَةِ.

جُزْءٌ منَ القضِيَّةِ هُوَ أنَّهُ فِي الأبحَاثِ الغربِيَّةِ المعاصِرَةِ المتعلِّقَةِ بالتَّعلِيمِ ثَمَّتَ مَيلٌ لإِهمَالِ النَّظَرِيَّاتِ والفَلْسَفَاتِ والحَرَكَاتِ الفكرِيَّةِ النَّاشِئَةِ عنِ الثَّقَافَاتِ والحَضَارَاتِ غيرِ الغَرْبِيَّةِ. فعَلَى سبيلِ المثَالِ، غالبًا مَا تُعْنَى الدِّراسَاتُ التَّعليميَّةُ فِي الغربِ بالأُسُسِ اليونانيَّةِ- الرُّومانيَّةِ واليهوديَّةِ المسيحيَّةِ لتاريخِ التَّعليمِ الَّذِي يُرَكِّزُ علَى أوروبَّا، فِي حينِ أنَّ المفاهِيمَ والممارَسَاتِ التَّعليميَّةِ منَ الثَّقَافَاتِ والحضَاراتِ الأُخْرَى لَا تُعْطَى الاعتبَارَ الكَافِي. وهذَا مَثَارُ دهشَةٍ إِلَى حَدٍّ مَا فِي ضَوْءِ التَّحدِّيَّاتِ المُعَقَّدَةِ الَّتِي تواجِهُهَا المجتمعَاتُ الغربيَّةُ فِي بدايَةِ الألفيَّةِ الثَّالثَةِ.

وفِي الواقِعِ، يبدُو أنَّ التَّنوُّعَ العِرْقِيَّ والدِّينيَّ المتزايِدَ للسُّكَّانِ فِي كُلِّ المدُنِ الكُبرَى تقريبًا فِي أوروبَّا وأمريكَا الشَّماليَّةِ - وفِي مُعْظَمِ مؤسَّسَاتِ التَّعلِيمِ الابتدائِيِّ والثَّانوِيِّ والعَالِي- يدعُو علَى وَجْهِ السُّرْعَةِ إِلَى تَغْيِيرِ النَّهجِ عِنْدَمَا يتعلَّقُ الأمرُ بالتَّعلِيمِ علَى الصَّعِيدَينِ الوطَنِيِّ والدَّولِيِّ، وفِي الوقتِ نفسِهِ، يبدُو أنَّهُ منَ الضَّرُورِيِّ أنْ نُدْرِكَ تَمَامًا أنَّ دراسةَ الفكرِ التَّعلِيمِيِّ بمَثَابَةِ أداةٍ حيويَّةٍ لتعزِيزِ فَهْمٍ أفضَلَ للثَّقَافَاتِ والحَضَارَاتِ والأديَانِ المُغَايِرَةِ.

ولهذَا الغَرَضِ تَمَّ إنشاءُ قَاعِدَةِ بيانَاتٍ مُصَمَّمَةٍ ذاتيًّا للعمَلِ كأَرشِيفٍ وكَأَدَاةٍ بحثِيَّةٍ لدراسَةِ المفاهِيمِ التَّعليميَّةِ فِي المصَادِرِ الأساسِيَّةِ العربيَّةِ الكلاسيكيَّةِ. واستنادًا إِلَى هذَا البَحْثِ يتمُّ إعدَادُ كُتَيِّبٍ سَيُقَدِّمُ فكرَةً شامِلَةً عنْ وِجْهَاتِ النَّظَرِ التَّعليميَّةِ والفلسفَاتِ الَّتِي يدعُو إليهَا بعضُ أهمِّ المفكرِينَ المسلمِينَ فِي العُصُورِ الوسطَى(*).

وسَيَتَنَاوَلُ هذَا الكُتَيِّبُ الَّذِي يَصْدُرُ باللُّغَةِ الإنجليزيَّةِ حقِيقَةَ أنَّ علماءَ المسلمِينَ فِي العُصُورِ الوسطَى كانُوا مُبْدِعِينَ بشكلٍ ملحوظٍ فِي تطوِيرِ النَّظَرِيَّات التَّعليميَّةِ الَّتِي يُمْكِنُ تَطْبِيقُهَا علَى بِيئَاتِهِمْ المعيشِيَّةِ المتنوِّعَةِ ثقافيًّا(*).

وَبطبيعَةِ الحَالِ، فإنَّ نتائِجَ هذَا النَّوعِ ملحوظَةٌ للتَّارِيخِ الفِكْرِيِّ للإسلَامِ. ومعَ ذلِكَ، فهِيَ -أيضًا- ذاتُ أهميَّةٍ فِي إطَارِ نماذِجِ الدِّيمقرَاطِيَّاتِ اللِّيبرَالِيَّةِ الحدِيثَةِ، معَ تقْدِيرِهَا للتَّفْكِيرِ المنطِقِيِّ، والاستِجَابَةِ العلمِيَّةِ للاحتِيَاجَاتِ الفردِيَّةِ والمُجْتَمَعِيَّةِ والتَّعَدُّدِيَّةِ.

ومعَ ذَلِكَ، رُبَّمَا مَا يكُونُ أكثرَ أهميَّةً اليومَ فِي عالَمِنَا المُعَولَمِ علَى نحْوٍ مُتَزَايِدٍ، ازدَادَتِ الأهميَّةُ العِلْمِيَّةُ والإستِرَاتِيجيَّةُ للدِّرَاسَاتِ الإسلاميَّةِ. وهكَذَا يعُودُ الأمرُ إلينَا كعُلَمَاء وَمُرَبِّينَ مَسْؤُولِينَ فِي الشَّرقِ والغربِ، مُسْلِمِينَ وغَيرِ مسلمِينَ؛ لتَوحِيدِ الجُهُودِ لإِعْدَادِ الجِيلِ المُقْبِلِ بشَكْلٍ احترَافِيٍّ منْ أجْلِ حياةٍ يسُودُهَا السَّلَامُ والازدِهَارُ.

***